تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه الكرام وبعد:

فأستاذى المرحوم فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى من علماء الأزهر المجددين ينتمى إلى مدرسة الفكر الحر التى تنهج فى فكرها إيثار التجديد على الجمود، وترجيح جانب الاجتهاد على جانب التقليد، التى أنشأها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بما سَنّ فيه من حرّية فكرية، واجتهاد علمى يستمدان أصولهما من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وآراء ذوى الإصلاح الدينى ممن أوْرَثُو الفكر الإسلامى خِصْبا ونضارة، ومن تلاميذ هذه المدرسة – على سبيل المثال لا الحصر – أساتذتنا الأجلاء فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد عرفة، والشيخ إبراهيم الجبالى، ومن قبلهم الإمامان الكبيران الشيخ محمد مصطفى المراغى، والشيخ عبد المجيد سليم. ولكل منهم سبقه الحميد..

لقد وهب الله أستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدى نضجا فى الفكر، وسعة فى الأفق، ورجاجة فى العقل، ورحابة فى الصدر، وثراء فى العلم. فعُرف باتجاهه الفكرى المتميز فى فروع كثيرة من فروع العلم لا فى التشريع وحده، فقد كتب – بجانب التشريع –

فى المنطق، والبلاغة، والنحو، والتاريخ.. مؤلفات تجديدية رائعة لا يـزال أولو العلم يرددونها عن شـوق وإعجاب.. وتعّدت مؤلفاته المطبوعة فى تلك العلوم خمسـين كتابا بخلاف المخطوطات التى لم يتح لها النشر بعد والتى أودعها مكتبة الأزهر الشريف..

ولقـد غرس فينا – رحمـه الله – ونحن طلبة العلم منه فى كلية اللغـة العربية – فى الخمسـينيات – حريـة الانطلاق فى البحث والتحصيل، والاسـتدلال والتعليل، والرأى والفكر.. وكنا نترسـم خطاه، ويجذبنا نحـوه ونحن نتابع أبحاثـه ومقالاته فى القضايا الدينية وقضايـا الإصلاح والتحديد التى أثـارت حركة فكرية فى الصحف والمجلات..

وهـذا الكتـاب «حريـة الفكر فى الإسـلام» ليس وحـده الذى كتبه الأسـتاذ فى هذا المجال. فقد سـبقته كتب رائدة مثل كتابه «المجددون فى الإسـلام» وكتابه «الحرية الدينية فى الإسلام» عن «الإصلاح فى الأزهر..».

والكتاب الذى أقدمه الآن «حرية الفكر فى الإسلام» يحتوى على فصـول.. يتحدث الفصل الأول فيه عـن الفرق بين الحرية الفكرية والحريـة الدينية، وأن الحرية الفكرية أعم وأشـمل لأنها تشـمل الحريـة العلمية والحرية السياسـية والحرية الدينية، وقد عرّف كل حرية منها وبيّن أهمية الحرية الفكرية..

وفيهـا آراء جديدة لم يُسـبق إليهـا، وإذا كان بعضها يحتمل النقاش فهذه سـنة أهل العلم مادامت هذه الآراء تستند إلى الأدلة

الصحيحة، وليس النقاش فى هذه الأدلة، ولكن النقاش فى توجيه النص لأن لكل وجهة هو موليها..

وقد سبق أن تحدث الأستاذ فى كتابه المعروف «فى ميدان الاجتهاد» عن ضرورة الحرية الفكرية، وما تلا هذا الكتاب القيّم من بحوث إنما جاء تطبيقا لما بيّنه فى كتاب «فى ميدان الاجتهاد» وقد طبع منذ نحو ستين عاما واستقبلته الدوائر العلمية بالترحيب، كما أثار نقاشا مثمرا فى بعض الصحف والمجلات المعاصرة..

ثم تلا الفصل الأول فصول تحدث فيها أستاذنا عن الجزاء والحرية الفكرية..، وعن الإسلام والحرية العلمية..، وعن الإسلام والحرية السياسية..، وعن الإسلام والحرية الدينية..

وأكد على شدة الحاجة إلى الجزاء الدنيوى والأُخروى. فقد خُلق الإنسان وفى طبيعته ميل إلى الخير وميل إلى الشر حتى يكون له الاختيار بينهما، فلابد أن يكون هناك ما يساعد جانب الميل إلى الخير فى الناس لصرفهم إليه، ولابد أن يكون هناك ما يقاوم جانب الميل إلى الشر فيهم ليصرفهم عنه..

وأن الجزاء الدنيوى لا يعكر بشىء على الحرية الفكرية إذا سار فى طريقه المعقول ولم يصل إلى شىء من الإعنات والتعسف..

وأن الجزاء الأخروى لا يعكر بشىء على الحرية أيضا، وأن الإسلام لا يغلق باب الاجتهاد على الناس، بل يفتحه أمامهم على مصراعيه، والمجتهد عنده لا إثم عليه فيما اجتهد فيه ولو أخطأ

طريق الصواب، بل من اجتهد عنده وأصاب فله أجران، ومن اجتهد عنده وأخطأ فله أجر واحد ويعذر في خطئه فقط، لكنه لا يعذر. عند الجمهور في خطئه إذا وصل إلى حد الكفر، وهذا إنما يكون بإنكار أصل من الأصول الدينية المعلومة من الدين بالضرورة، مثل الإيمان بالله تعالى من العقائد، مثل وجوب الصلاة من الفروع العلمية..

ومثل هذه الآراء التي وردت في فصول الكتاب ستكون موضع نظر فاحص، والمجتهد المثابر على الاجتهاد مثل أستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدي لابد أن يكون في اجتهاده ما يثير النقاش، ولا شيء في ذلك مادام النقاش يعْتصم بالدليل علميا، وبالإخلاص سلوكيا، وبالتقدير شخصيا..

وكتب الخلاف في التشريع الإسلامي كثيرة، ولكل مؤلف من أصحاب هذه الكتب مكانته المحترمة بين مخالفيه، لأن اختلاف الرأي لا يفسد قضية الود، بل يبارك الحب والتقدير، إذ الهدف هو الوصول إلى الحقائق عن طريق قويم، لا عن طريق الشقاق والمعاداة..

وفي الفصل الخامس الذي تحدث فيه عن الإسلام والحرية الدينية أكد أستاذنا - رحمه الله - على اشتراط الحرية في صحة الإسلام.. وبرهن على أن الإسلام الذي يحصل بالإكراه بالسيف أو نحوه غير صحيح، وردّ على الجامدين الذين ذهبوا إلى أن ما يسمى بالحرية

الدينيـــة بدعة حديثة فى عصرنا..، ثم ذكر الآيات التى وردت فى القرآن الكريم تدعو المســلمين إلى القتال وأوضح أنها مقيدة بقتال من يقاتل المسلمين أو يعتدى عليهم.. وليست مطلقة..

كما تحدث عن المرتد وبيّن أقوال العلماء فيه.. وذهب أســتاذنا إلى أن المرتد يدعى إلى العودة إلى الإســلام بالتى هى أحسن ما لم يقاتل المسلمين كما يدعى إليه الكافر الأصلى سواء بسواء..

ولأستاذنا شــرح مستفيض خاص بهذا الموضوع فى كتبه يرجع إليه من أراد الإســهاب والتفصيل ففيه الأدلة المبسوطة التى تشرح وجهة نظره..

وإذا كان الفصــل الأخير من الكتاب يشــير إلى بعض المفكرين من أعلام الإســلام مثل عثمان بــن عفان، وخالد بن يزيد، وعمر بن عبــد العزيز، والمأمــون، ويحيى بن أكثم، وأبــو العلاء المعرى، وابن رشد، ونصير الدين الطوسى، فإنى ألحظ أن أستاذنا لم يستوف القول على وجهه الذى يعرض الآراء المختلفة حول هؤلاء الكبار، ولو فعل ذلك لأشــبع رغبة القارئ.. ولكنه اكتفى ببعض ما يقال، وكنت أتمنــى أن يذكر ما قاله المخالفــون لاتجاه هؤلاء الأفاضل، فيضع الميزان المســتقيم بين رأى ورأى، وانتقــاء وانتقاء، ولعله أراد أن يوجــه الأنظــار فقط إلى هؤلاء تــاركا للباحثين أن يواصلوا السَّبْح الطويل حتى يهتدوا إلى الرأى القويم..

رحم الله أســتاذنا الشــيخ عبد المتعال الصعيــدى فقد عَرْفنا فى دروســه النافعة كيف يهدى الأســتاذ طلابه إلى آفاق جديدة تتسع

للجـدل المخلص وللحوار السـديد، ولذلك نشـأ مـن تلاميذه من يعشـقون البحث ويحاولون السير على منواله فى خطو ثابت موفق بإذن الله.

ولعلى أسـعد مسـتقبلا بقراءة ما تقوم به دار المعارف من نشر مؤلفات أسـتاذنا المخطوطة التى لم يتح لها النشـر إلى الآن فتلك رسـالتها النبيلة التى عهدناها نحو علمائنا الكبار من المحققين، لا سيما وأن على قمة دار المعاراف الأستاذ رجب البنا الذى أثق به شـخصيا، وأقدر فيه حبه وحرصه وإخلاصه فى نشـر العلم النافع والثقافة الرفيعة الجادة التى تهدى الشـباب إلى الطريق الصحيح المستقيم.

والله ولى التوفيق..

(فوزى فاضل الزفزاف)
وكيل الأزهر الأسبق
عضو مجمع البحوث الإسلامية
رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف
للحوار بين الأديان السماوية

١٢ من ١٦ من رمضان ١٤٢٢هـ
ديسمبر ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أنعم على بنى الإنسان بنعمة الفكر، يمتازوا به على غيرهم من الخلق، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذى اختصه بمعجزة القرآن، ليدعو بها الناس إلى دينه بالتفكير فى آياته فى الكون.

وبعد: فهذا كتاب - حرية الفكر فى الإسلام - وهو موضوع تناوله كثير من علمائنا الأحرار بالبحث، وكان لى فيه بحوث نشرتها فى مختلف المجلات والجرائد. وكانت لى فيها آراء واجتهادات، فإذا سرت فى هذا الكتاب فإنما أسير فيه على هدى هؤلاء العلماء الأحرار، وإذا زدت فيه عليهم فإنما أسير فيما أزيد على سبيلهم، من إيثار التجديد على الجمود، وترجيح جانب الاجتهاد على جانب التقليد.

وهذا الكتاب تتميم لكتابى السابق - الحرية الدينية فى الإسلام - وليس بتكرار له، لأنه أعم منه موضوعًا، وأوفى منه بحثا، ومن الله أسأل التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

عبد المتعال الصعيدى